العرب
الجمعة 2021/10/01
السنة 44 العدد 12196

# علاقة السينما العربية بطفرة التكنولوجيا محور جلسة حوارية في لبنان

بيروت - في سياق "ملتقى مينا: محطات لقاء وعبور فنية" 2021، والذي يواكب برمجة "اتجاهات" في الذكرى العاشرة لتأسيسها، نظّمت المؤسّسة بالشراكة مع "المورد الثقافي" جلسة حوارية في بيروت بعنوان "عن الشعب الغائب وعنف التمثيل الحاضر.. جدل الصورة والبصري: رحلة العشر سنوات"، تُعالج موضوع الصورة السينمائية في المنطقة العربية خلال عشر سنوات، وتطرح أسئلة عن التجارب والنماذج الجمالية المتنوّعة التي قدّمتها.

وأتت الجلسة قبل أيام من برمجة منصة "أفلامنا" التابعة لـ"بيروت دي سي" مجموعة أفلام تسجيلية وروائية حاصلة على دعم "المورد الثقافي" المزمع انعقادها أواسط شهر أكتوبر الجاري. وطرحت الجلسة التي أدارتها فرح فايد من "بيروت دي سي" العديد من الأسئلة حول التأثيرات الأساسية التي كوّنت الصورة السينمائية الجديدة، منها: هل تأثرت اللغة البصرية في المنطقة العربية بالطفرات التقنية؟ أو أن تأثير التطوّر اقتصر على خرق الركود القائم من نواحي التوزيع والعرض؟

شريف زهيري

**الإبداع الإنساني يمتلك دائما اليد العليا في مواجهته للتكنولوجيا**

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، تطرّقت الناقدة السينمائية التونسية إنصاف ماشطة في حديثها عن العديد من التجارب السينمائية في السنوات العشر الماضية، من بينها فيلم المخرج السوري زياد كلثوم "الرقيب خالد".

وتقول ماشطة "يشكّل هذا الفيلم تكثيفا للتناقض الذي تعيشه السينما الجديدة بين نمطين جماليين، واحد يستكين لأسلوب تقليدي من الإنتاج السينمائي وآخر يجد نفسه مجبرا على استخدام وسائط جديدة كالموبايل لأداء الوظيفة التي تعجز الكاميرا التقليدية عن تحقيقها".

وينقسم تصوير "الرقيب خالد" بين مكانين/ فضاءين بصريين: الأول هو موقع تصوير فيلم محمد ملص "سلم إلى دمشق" الذي يعمل فيه كلثوم كمساعد مخرج، والثاني هو مكان تأدية كلثوم خدمته الإلزامية في الأبنية الحكومية والعسكرية التابعة للجيش السوري.

وما يثير اهتمام ماشطة في هذا الفيلم تحديدا، أنه يظهر قدرة التقنيات الجديدة على تجريد المخرج من سلطته على المادة المرئية. مستدلة في ذلك على الجزء المصوّر بالموبايل، حيث تظهر الأقدام فقط والأحذية والبدلات العسكرية وليس الشخصيات، بينما لا يتاح تصوير الفضاء المكاني الموجود فيه المخرج سوى في مناسبات قليلة، ما يبدو تجريدا لسلطته على الصورة المرئية. أما في القسم المصوّر بالكاميرا، فيظهر فيه قدرة المخرج على امتلاك أدوات "السلطة السينمائية"، التي تتحكّم بشكل كامل بالحقل المرئي.

وتضيف "طبعا يلعب الإذن الرسمي بالتصوير الذي تحصّل عليه محمد ملص دورا في توفير المناخ المناسب لهذه السيطرة المرئية، وهو الظرف الذي يستغله زياد كلثوم لتصوير مدينة مسكونة بالحرب والموت".

ويرى السينارسيت والمخرج المصري شريف زهيري، صاحب فيلم "ريش" الفائز بالجائزة الكبرى لمسابقة أسبوع النقاد الدولي في الدورة الرابعة والسبعين لمهرجان كان السينمائي، أن هذه التقنيات الجديدة رغم أهميتها لم تكن قادرة على خلق لغة سينمائية جديدة، فالإبداع الإنساني دائما يمتلك اليد العليا بمواجهة التكنولوجيا، وبإمكانه تطويعها ضمن القوالب الذهنية المعروفة.

ويؤكّد المخرج المصري أن الميزانية مرتبطة بشكل وثيق أيضا بالتقنيات، ما يحدّد بالتالي الخيارات الجمالية للمخرجين. ويوضّح "في السابق لم يكن متاحا لشخص مثلي أن يخرج فيلما بسبب التكلفة المرتفعة. أما اليوم، فقد تغيّر هذا الواقع، لكن يبقى للميزانية تأثير كبير على الجماليات والمثال الأوضح فيلم الرحلات "7 سنوات في دلتا النيل" الذي أنتجته دون دعم، وامتلك الفيلم هوية بصرية فريدة، فرضها عدم امتلاكي كاميرا شخصية. فقد كان عليّ عند كل رحلة استعارة كاميرا من أحد أصدقائي، وهو ما فرض على الفيلم هوية محدّدة".

وكما الزهيري، يقلّل الكاتب السوداني حسام هلالي من قدرة التقنيات الجديدة التأثير على اللغة السينمائية المكرّسة، قائلا "بالرغم من فتح التكنولوجيا المجال أمام المتلقي للمشاركة في إنتاج الصورة أو حتى خلق صورة بديلة، لكن هذه الصورة الجديدة أظهرت فعاليتها كبديل عن وسائل الإعلام التقليدية وليس عن السينما.. فالأخيرة دائما ما تتمكّن من تطويع التقنيات لصالحها".

ويضيف هلالي "هذا النقاش حول التقنيات يستمرّ من جيل إلى آخر. بعد عام 2000 رفض الرعيل الأول من المخرجين السودانيين الذين درسوا السينما في الاتحاد السوفييتي وأوروبا، سينما الديجيتال لأنها لم تكن سينما حقيقية بالنسبة لهم. نظرة هؤلاء للسينما لم تكن محصورة في الصورة فقط، بل بأدوات الإنتاج من تحميض الأفلام إلى أساليب المونتاج وغيرها..".

ويوضّح "لذلك رأى هؤلاء أن السينما الجديدة لم تكن سينما حقيقية بل مجرد فيديو آرت. طبعا، أتفهّم ذلك، فهؤلاء أنفقوا سنوات طويلة من حياتهم في الدراسة والتدريب، وحين تخرّجوا وحاولوا إخراج أفلام كان عليهم اللجوء إلى الدولة حصرا للحصول على تمويل، قبل أن يأتي الانقلاب، فجأة، ويجعل الأفلام محرّمة. في النهاية يأتي بعض الأولاد بكاميرا وكمبيوتر لينتجوا فيلما بدعم من مؤسّسات غير حكومية. كان ذلك شيئا مجحفا وغير عادل من وجهة مخرجي الرعيل الأول".

ومن ناحية أخرى، يرى الكاتب السوداني أن "أحد أهم إيجابيات التطوّر التكنولوجي هي الثورة التي حصلت في مجال التوزيع التي أتاحت الأفلام لفئات جديدة، بعد أن كانت محصورة سابقا بجمهور المهرجانات".

وهو يعتقد أن قرصنة الأفلام أيضا شكّلت نوعا من التمرّد على علاقات السلطة في المجال السينمائي، قائلا "دائما ما أسمع تعليقات من سودانيين عن الأفلام الجديدة التي شاهدها الجميع باستثناء الأشخاص الذين تتحدّث عنهم أو تمثّلهم، لذلك حيث عرض 'ستموت في العشرين' عبر إحدى المنصات، تمّت قرصنته بعد وقت قصير عبر فيسبوك وتمكّن الجميع من مشاهدته".

القرصنة مكّنت فيلم «ستموت في العشرين» من الانتشار في السودان

هل يمهّد «مجنون فرح» لليلى بوزيد طريق السير على خطى أبيها

# تونس تراهن على مخرجيها الشباب للظفر بتانيت قرطاج السينمائي

## أحد عشر فيلما تونسيا تتنافس على المسابقات الأربع للمهرجان

«في بلاد العم سالم» يتنافس على مسابقة الأفلام الروائية القصيرة

تشارك تونس في الفترة الممتدة بين الثلاثين من أكتوبر الجاري والسادس من نوفمبر القادم بأحد عشر فيلما في المسابقات الأربع لأيام قرطاج السينمائية في دورتها الثانية والثلاثين، وسط حضور شبابيّ لافت يدعم نجاحات الأصوات السينمائية الجديدة التي ما انفكت تظفر في السنوات الأخيرة بأرفع جوائز المهرجان.

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونس - أعلنت لجنة تنظيم الدورة الثانية والثلاثين لأيام قرطاج السينمائية، المزمع انعقادها حضوريا في الفترة الممتدة بين الثلاثين من أكتوبر الحالي والسادس من نوفمبر القادم، قبولها أحد عشر فيلما تونسيا للمشاركة في المسابقات الرسمية الأربع لهذا العام، توزّعت بين ثلاثة أفلام روائية طويلة وثلاثة روائية قصيرة ومثلهما ضمن مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة، فيما يحضر فيلمان ضمن مسابقة الأفلام الوثائقية القصيرة.

وتلقت اللجنة ترشيح ثلاثة وخمسين فيلما تونسيا للمشاركة في المسابقات الرسمية لهذه الدورة، تمثلت في ثمانية عشر فيلما طويلا، تسعة منها روائية ومثلها وثائقية، وأربع وثلاثين فيلما قصيرا، منها تسعة وعشرون فيلما روائيا وخمسة أفلام وثائقية، ليقع اختيار اللجنة على أحد عشر فيلما هي: "عصيان" إخراج الجيلاني السعدي، و"مجنون فرح" إخراج ليلى بوزيد، و"فرططو الذهب" إخراج عبدالحميد بوشناق، وهي الأفلام التي ستتنافس على التانيت الذهبي لمسابقة الأفلام الروائية الطويلة.

فيما وقع اختيار لجنة الانتقاء على أفلام: "فريدا" للمخرج محمد بوحجر، و"في بلاد العم سالم" لسليم بالهيبة و"سواد عينيك" لطارق السردي ضمن مسابقة الأفلام الروائية القصيرة.

ويحضر في مسابقة الأفلام الوثائقية الطويلة كل من "حلال سينما" لأمين بوخريص، و"أبي، فيم أفنيت شبابك؟" لأكرم عدواني و"مقرونة عربي" لريم تميمي. ويمثّل تونس في مسابقة الأفلام الوثائقية القصيرة فيلما "سيّاح خارج الموسم" لماهر حسناوي و"يا عم الشيفور" لبيّة المظفر.

### الغلبة للشباب

يلاحظ من خلال قائمة أسماء المخرجين التونسيين الذين سيتنافسون على جوائز المسابقات الأربع لقرطاج السينمائي الثاني والثلاثين أن جلها -إن لم نقل كلها- من الشباب، باستثناء السينمائي المخضرم الجيلاني السعدي (1962) صاحب أفلام: "وينو بابا" (إنتاج 2012) وثلاثية "بيدون 1 و"بيدون 2 و"بيدون3" التي أخرجها السعدي على التوالي في 2012 و2014 و2017، إلى جانب فيلمي "في دمّي" و"خرمة" (2002) و"عرس الذيب" الحاصل على جائزة الحكام في أيام قرطاج السينمائية عام 2007، ليكون فيلم "عصيان" ثامن أفلامه الروائية الطويلة.

أما عبدالحميد بوشناق المولود في عام 1984 فيعدّ "فرططو الذهب" (فراشة الذهب) ثاني أفلامه الروائية الطويلة بعد فيلمه الطويل الأول "دشرة" (2018) الذي حقّق خلال عرضه في القاعات التونسية رقما قياسيا من المشاهدات، بتجاوزه المئة ألف متفرّج في سبعة عشر يوما فقط، وهو رقم لم يحقّقه قبل "دشرة" إلاّ فيلم "عصفور سطح" لفريد بوغدير في عام 1990.

ويحكي "دشرة" الذي عدّه النقاد أول فيلم رعب تونسي قصة طالبة جامعية في اختصاص الصحافة اسمها ياسمين، تعمل رفقة صديقيْها بلال ووليد على حلّ لغز جريمة غامضة تعود إلى أكثر من ربع قرن، وتتعلّق بامرأة وُجدت مشوّهة ومقتولة وملقاة وسط الطريق، فينتهي بهم المطاف إلى قرية صغيرة (دشرة) معزولة وسط الغابة.

والأمر ذاته ينسحب على ليلى بوزيد (مواليد 1984) ابنة السينمائي التونسي الشهير النوري بوزيد التي ستتنافس بدورها للظفر بتانيت الأيام ضمن مسابقة الأفلام الروائية الطويلة، ويعدّ فيلم "مجنون فرح" ثاني أفلامها الروائية الطويلة، بعد فيلمها الأول "على حلة عيني" (ما إن فتحت عيني) المنتج في عام 2015، والذي اختير ليُشارك في أكبر مهرجانات العالم على غرار فينيسيا وتورنتو ولوزان وغيرها. وقد حصلت من خلاله على أربع وعشرين جائزة عالمية.

ويروي "مجنون فرح" في مئة وثلاث دقائق قصة الشاب أحمد، وهو فرنسي من أصل جزائري نشأ في ضواحي باريس. يلتقي على مقاعد الجامعة شابة تونسية اسمها فرح، وصلت مؤخرا إلى باريس، فتشتدّ الروابط بينهما ويقع أحمد في حبها بشكل عميق. ورغم شدّة العشق والوله بها إلاّ أنه يحاول بشتى الطرق مقاومة الشعور الجارف تجاهها وصدّ نفسه عنها.

ولئن ضمّت مسابقة الأفلام الروائية الطويلة أحد الأسماء السينمائية المخضرمة، ممثلا في السعدي بتاريخه السينمائي الطويل، فإن بقية المسابقات الثلاث الأخرى -ونعني هنا مسابقات الأفلام الروائية القصيرة والأفلام الوثائقية بصنفيها الطويل والقصير- لم يتجاوز معدّل أعمار غالبية مخرجيها الأربعين عاما، ما يؤكّد رهان قرطاج السينمائي على الطاقات التونسية الشابة التي أثبتت في أكثر من دورة جدارتها باقتناص الذهب، لعلّ آخرها حصول المخرجة التونسية كوثر بن هنية (1977) على الجائزة الكبرى للمهرجان عن فيلمها "زينب تكره الثلج" في عام 2016.

هذا دون الحديث عن تتويج عدد كبير من شباب السينما التونسية في العشرية الأخيرة بجوائز الأفلام الروائية القصيرة ونظيرتها الوثائقية بنوعيها الطويل والقصير، منها على سبيل الذكر لا الحصر تتويج فيلم "من طين" ليونس بن سليمان بالتانيت الذهبي للفيلم الوثائقي القصير وحصول فيلم "قصة حقيقية" لأمين لخشن على التانيت الذهبي للروائي القصير في آخر دورة حضورية لقرطاج 2019، قبل تفشي فايروس كورونا.

### نحو التانيت العاشر

يعدّ فيلم "السفراء" للمخرج محمد الناصر القطاري أول فيلم يُهدي تونس التانيت الذهبي لأيام قرطاج السينمائية في عام 1976، أي بعد عشرية من انطلاق المهرجان الذي تأسّس في عام 1966، وتطرّق الفيلم عصرئذ إلى ظاهرة الميز العنصري التي كان يتعرّض لها العمّال الأفارقة والعرب في أوروبا.

وحصدت تونس بعد أول تتويج لها بالتانيت الذهبي ثمانية تتويجات أخرى، وهي تباعا: "عزيزة" لعبداللطيف بن عمار في عام 1980، و"ريح السد" للنوري بوزيد في عام 1986، وهو الوحيد من التونسيين الذي تحصّل على التانيت الذهبي في مناسبتين، وكان الثاني له في عام 2006 عن فيلمه "آخر فيلم"، كما تحصل فريد بوغدير على أرفع جوائز المهرجان في عام 1990 عن فيلمه "عصفور سطح" أو "حلفاوين".

وفي عام 1994 تمكنت المخرجة التونسية الراحلة مفيدة التلاتلي من أن تكون أول مخرجة في العالم العربي وأفريقيا تتوّج بالتانيت الذهبي لقرطاج السينمائي عبر فيلمها "صمت القصور"، لتلتحق بها بعد أكثر من عقدين كوثر بن هنية التي تحصلت في عام 2016 على التانيت الذهبي للأيام، وذلك عن فيلمها الوثائقي - الروائي الطويل "زينب تكره الثلج".

وفي عام 2018 توّجت تونس بتانيتها الذهبي الثامن عبر فيلم "فتوى" لمحمود بن محمود، وللسنة الثانية على التوالي توّجت تونس في 2019 بتانيت المهرجان الذي ذهب إلى فيلم "نورا تحلم" لهند بوجمعة التي باتت المرأة الثالثة التي تتوّج بذهبية الأيام.

عبدالحميد بوشناق يدخل المنافسة على تانيت قرطاج السينمائي عبر فيلمه الطويل الثاني «فرططو الذهب»

كما توّجت بطلة الفيلم هند صبري بجائزة أفضل ممثلة في المهرجان عن دورها في الفيلم ذاته، وذلك بعد أن سبق لها أن توّجت قبل ربع قرن بذهبية الأيام كأفضل ممثلة عن دور "عليا" في "صمت القصور" في أول ظهور سينمائي لها.

وتسعى تونس، على الرغم من المنافسة المرتقبة من الأفلام العربية والأفريقية المشاركة في الدورة الجديدة من المهرجان للظفر بالتانيت الذهبي العاشر لها في مسابقة الأفلام الروائية الطويلة. فهل تسير ليلى بوزيد على خطى والدها وتظفر بالتانيت الثالث لآل بوزيد، وهو حدث إن تحقّق سيكون الأول من نوعه في تاريخ السينما التونسية، ومن ثمة تصبح المخرجة التونسية الرابعة التي تحصل على أرفع جوائز المهرجان؟ أم يكون الأول للجيلاني السعدي بعد طول انتظار وبالمثل لعبدالحميد بوشناق في مُشاركته الأولى في المسابقة الرسمية للمهرجان؟.. لننتظر إذن.